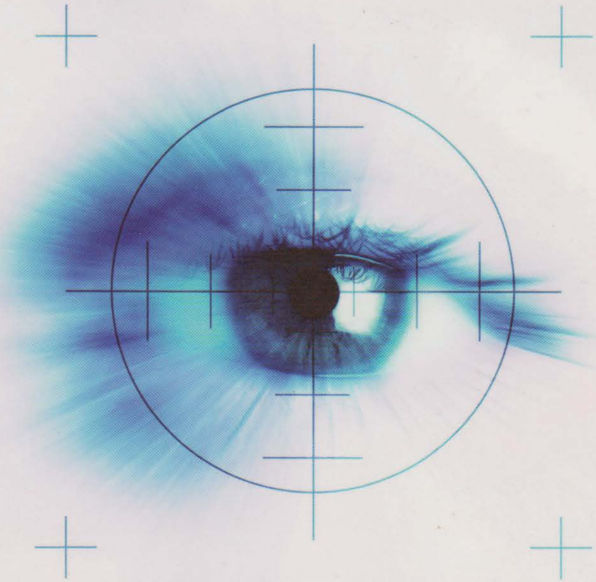
حدِّد غايتك



د. محمد باباعمي

دار وحي القلم

حدّد غايتك

الدكتور محمد باباعمي

الطبعة الأولى: ١٤٣٤ هـ ـ ٢٠١٤م

قياس القطع: ١٢,٥×١٩,٥ سم
عدد الصفحات: ٦٤

الرقم المعياري الدولي: ٩-٢٥-٥٠١-٩٩٣٣-٩٧٨

دار وحي القلم

أسّسها:
سليم محمد دولة
سنة ٢٠٠٢م

الكتب التي تصدر عن الدار تعبّر عن آراء واجتهادات أصحابها.

هدفنا...
تعميم القراءة المفيدة وتدعيم الكتابة.
وحي القلم تستقبل تآليف الكتّاب والمفكرين المبدعين وتشجع إمكانات التفكير وفرص النشر.

دمشق ـ هاتف: ٢٢١٨٥٢٦ ١١ ٩٦٣+
بيروت ـ تلفاكس: ٨٥٧٤٤٤ ١ ٩٦١+
جدة ـ تلفاكس: ٦٦٠٨٩٠٤ ٢ ٩٦٦+
جوال: ٧٠٦٥٣٠٤ ٥٣ ٩٦٦+
جوال: ٣٦٣٧٥٨٠ ٥٠ ٩٦٦+
ص.ب: ٤٥٢٣ دمشق ـ سوريا
البريد الإلكتروني:
wahe_alkalam@yahoo.com
wahe_alkalam@hotmail.com

حدِّد غايتك

تأليف

الدكتور محمد باباعمي

دار وحي القلم

بسم الله الرحمن الرحيم

دار وحي القلم

تستقبل تآليف الكتّاب والمفكرين المبدعين وتشجع إمكانات التفكير وفرص النشر.

تجمع بين الأصالة والحداثة، وتستوحي إصداراتها من وحي الواقع، من وحي التجربة والممارسة، ومن رصد ما يُدبر لهذه الأمة ويُراد بها.

يعنيها جديد الإبداع الذهني الذي يُشِعُّ صورة الإسلام النقية في واقع يغصُّ بالأزمات والنكبات التي تستهدف الأمة في دينها وتراثها وأخلاقها.

تتقدم ـ بمعونة الله تعالى ـ نحو عالم كتابي من نوع آخر ـ وضمن خطة تعميم القراءة وتدعيم الكتابة والأخذ بيد القراء الأكارم ـ وقد أخذت الدار على نفسها استقبال الأسماء التي تحمل العناوين المضيئة الموضحة ضمن خطتها.

تدرك ـ أننا جميعاً في دار الممر، لذا عليها أن تنير لنا السبيل إلى دار المقر بأمن وأمان ويسر، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

المدير العام

غايتنا

رضا الله تعالى

هدفنا

التغيير المنهجي، من منطلق قرآني

بسم الله الرحمن الرحيم

تنبيه

ما تقرأه في هذا الكتاب هو أهمُّ شيء في حياتك، فسواء اقتنعتَ به أو لم تقتنع، وسواء أعجبك أو لم يعجبك... فإنَّ تحديد غايتك، والعمل وفقها، هو أهمُّ قرار تتَّخذه في حياتك؛ فلا تتغافل عنه، ولا تضيّع الوقت في البتّ فيه.

إنَّ ما ورد في هذا الكتاب ليس رأيًا شخصيًا، ولا نظرية تقبل النقض، ولكنَّه حقيقة كونية، مستمَّدة من القرآن الكريم، وهي موجَّهة إلى الكافر والمسلم على السواء... فقرِّر الآن، ولا تتوان... وأجب على السؤال الأهمّ لمصيرك:

ما هي غايتي من الحياة؟

كيف تقرأ هذا الكتاب

ليس هذا الكتاب للمطالعة، ولا للاستزادة من المعارف العامَّة، ولكنَّه أداةٌ ووسيلةٌ للعمل والتغيير، في العديد من مجالات الحياة: الإيمانية، والاجتماعية، والعائلية، والأخوية، والوظيفية، والسياسية، والاقتصادية... وبالتالي، فإنَّ المؤلِّف ينصحك، أيها القارئ، بما يلي:

* **أن تطالع الكتاب بغرض تطبيقه في حياتك اليومية،** وعليك أن تحاول إسقاط كلِّ معلومة على أفكارك ونشاطاتك، وتقرأ من خلالها حركاتِك وسكناتك، وتحلِّل على ضوئها عواطفك وتخطيطاتك...
* **كلَّما استوعبتَ فكرة من الكتاب حاول أن تبلِّغها لمن حولك:** الزوجة أو الزوج، والأولاد أو الوالدين، والأصدقاء، والأجراء، والمديرين، والطلبة، والمتعلِّمين... فإنَّ أفضل طريقة لاستيعاب ما تتعلَّمه هي: **الإنفاق منه، وتعليمه لمن لا يعلمه.**

* حاول أن تطبّق أحسن ما يرد في هذا الكتاب على عملك الاجتماعي، خطوة بخطوة، وفكرة بفكرة؛ **واعلم أنّ التغيير لا يولد في يوم واحد، ولا يكون طفرة، بل هو نتاج صبر ومصابرة، وجهاد ومجاهدة...**
* **طالع هذا الكتاب وأنت تحمل في طياتك روحًا ناقدة،** علّك تعدّل خطأً وقعنا فيه، أو تضيف معلومة جديدة، أو تؤسس طرحًا أعمق وأكثر فاعلية.
* لا تتردّد في حمل قلم الرصاص، أو القلم الكاشف «textmarker»، قصد تسطير ما ينبغي تسطيره، والتعليق على ما يلزم التعليق عليه، **فتعامَل مع هذا الكتاب بأريحية وجرأة، لا بتقدير وتبجيل.**
* أُتل القرآن الكريم، وادرُس الحديث النبويَّ الشريف، وتمتَّع بالسيرة العطِرة، وبالتاريخ، والفلسفة، والفكر، وسائر العلوم النظرية والتطبيقية... **محاولاً إسقاط ما تطالع على القواعد الواردة في هذا الكتاب، قصد توسيع آفاق الفهم والإدراك عندك، وضمان استفادة أكثر من هذا الكتاب، وممَّا تطالع في آنٍ واحد.**

د. محمد موسى باباعمي

ذو الحجة 1425هـ/ فيفري 2005م

لماذا خُلقتَ؟

هل سبق لك أن جلست يومًا ما لوحدك، على شاطئ البحر، أو في مكان هادئ، لا يقطع أحد خطًّ تفكيرك، فاسترسلتَ في البحث عن معاني الحياة، وعن مبدأك **ومآلك، وعن سر وجودك وأمر فنائك؟**

لا شكَّ أنَّك إذا فعلتَ ذلك، فسيكون من أكبر الإشكالات التي تطرح نفسها عليك:

* **لماذا خلقتُ؟**
* **وما هي نتيجة عملي؟**
* **ولماذا أجهد نفسي في التعلم والعمل، والجدِّ والكدِّ؟**

اِعلم أنَّ هذه الأسئلة أسئلةٌ جوهريّة، حيَّرت العالم، وأقلقت الفلاسفة، فعرِّفت اصطلاحًا بأنَّها أسئلة عن الغاية، تلخص في سؤال واحد هو:

* **ما هي غايتي من الحياة؟**

ولقد جاء هذا الكتاب، ضمن سلسلة «**ما بأنفسهم...**» ليجيب على بعض الإشكالات، ويساعدك على مقاربة الحقيقة في هذا الشأن، والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

* * *

تعريف الغاية

الغاية في اللغة هي من مادَّة «غيا»، و«**الغاية** مدى الشيء، والغايـة أقصـى الشـيء» ومداه وأمـده، قـال تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ [الحديد: 16].

ومـن معاني «**الغاية**: الراية»، و«**غايتـك** أن تفعل كذا، أي نهاية طاقتك أو فعلك».

والغاية اصطلاحًا «ما لأجله وجود الشيء».

وخصائص الغاية هي:

ـ المدى.

ـ البعد.

ـ الأمد.

ـ الدلالة على المغيِّـي، بها يُعرف.

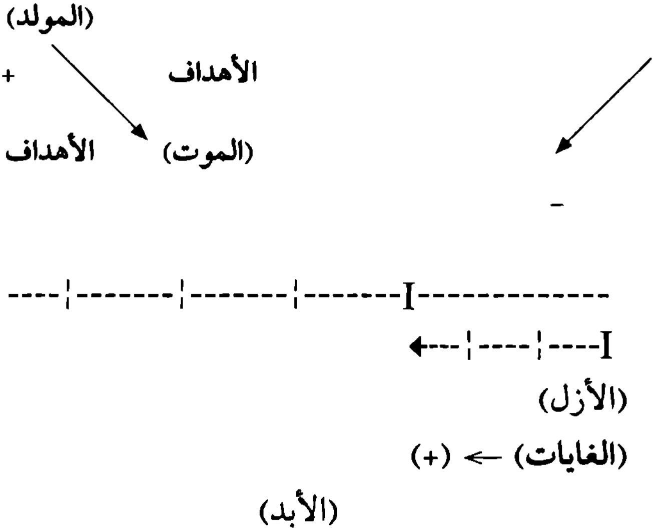
ولقـد يقـال: إنَّ الغاية هـي الهدف النهائـي، وهي هدف الأهداف، «فكلَّ هدف يفضي إلى الهدف الذي يليه، ويرتبط

بـه روحًـا ومنطقًـا، حتـى ينتهي التـدرُّج إلـى (الغايـات)».
والفروق الواضحة بين الأهداف والغايات هي:

- **الأهـداف** سـمتها التبدُّل والتطوُّر، أمَّـا الغايات فثابتة، لا تتغيَّر بتغيُّر الأحوال.
- **الأهـداف** تُعـرف بزمن معيَّـن، ومكان معيَّـن، وكيفيَّة معيَّنة، أمَّا الغايات فلا تتزمَّن ولا تتحيَّز.
- **الأهـداف** أقـرب ما تكـون إلـى الوسـائل والأدوات والممارسـات، أمَّا **الغايات** فأقرب ما تكون إلى القيم والمبادئ.

ولتوضيـح التعريـف نرسـم شـكلاً رياضيًـا للأهـداف والغايات، يقرِّب الفهم ويوضِّح المعنى:

فإذا كانت الحياة ـ مبدئيًا ـ خطًّا مسـتقيمًا، يبدأ من نقطة محـدَّدة هي الميلاد، لينتهي في نقطـة محدَّدة ـ غير معروفة للإنسـان مسـتقبليًّا ـ هي الموت، وإذا كان هذا الخطُّ يسـير وفق اتجاه معيَّن نرمز إليه بـ ← (+)؛ فإنَّ سهم الزمن يكون كالآتي:



الغايات والأهداف في سهم الزمن

مــن خــلال هــذا الرســم نعــرِّف **الأهداف** بأنَّها:

> **محطَّات زمنيَّة مستقبلية، يسطِّرها الإنسان لمختلف جوانب حياته، ولمدد معيَّنة**

ونعرِّف **الغايات** بأنَّها:

معانٍ، غير متزمِّنة، متجاوزة،
متعالية، مهيمِنة،
وهي التي تحدِّد اتجاه الحياة

وهي بأوجز عبارة:

وجهة الحياة ومعناها

* * *

الغاية في القرآن الكريم

علَّمنا ربُّنا الكريم أن نقول وجه كلِّ صلاة: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: 79]، فهـذه الآية تمثِّـل **الغاية والوجهة إيمانيًا**، فكلُّ عمل آتيه، إنَّما وجهتي فيه إلى الله تعالى، وأنا فـي ذلـك متناسـق مـع السـماوات والأرض، وجميـع المخلوقات، في توجهها إلى الله تعالى.

فغايتي ووجهي هي: لله تعالى.

وتطبيقًـا لهـذا المعنـى الإيمانـي، فإنِّي أعلـن أنَّ كلَّ عمـل أعملـه، صغُـر أم كبُر، طـال أم قصُـر، إنَّما هو لله تعالى وحده، لا أشـرك فيه أحدًا غيرَه، وهذا معنى قوله تعالـى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: 162].

التطبيق

كلَّما شرعتَ في عمل، فقل: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 79].

واستحضر معناها، ثم اتل قوله تعالى:

﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: 162].

وسمِّ الله تعالى، ثم أشرع في عملك.

* * *

رضوان اللّه تعالى

يعمل مكتب الدراسات العلمية، بطريقة اختصار الغاية في **«رضوان الله تعالى»**، فهذه الغاية مدوَّنة في جميع الوثائق، ومستحضرة قبيل كلِّ اجتماع، وهي الحكم في كلِّ خلاف مهما كان حجمه.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 72].

أمَّا الدليل من الحديث الشريف فقول رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك. فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا ربِّ، وأيُّ شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»**.

فتسلسل الجزاء على النحو الآتي:

- رحمة الله تعالى في الدنيا، وستره، وتوفيقه للمؤمن...
- ثم تخفيف أمارات الموت.
- ثم البسط في القبر، حتى يكون روضة من رياض الجنة.
- ثم التخفيف في الحساب.
- ثم دخول الجنة، بعد أن يرى مكانه من النار، وقد نجاه الله تعالى منه.

كلٌّ هذا التسلسل يسطِّر أهدافًا جليلة للإنسان المسلم، وللأمَّة الإسلامية، وينتهي بغاية كبرى هي: **رضوان الله تعالى.**

وهذا معنى قوله تعالى:

﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [الأنعام: 72].

أي أكبر من كلِّ هذه الجزاءات، وكلٍّ ما يحتمله الإنسان من نعمة ونعيم.

والحديث الكريم صريح في هذا المعنى:

«فيقول الله: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا ربِّ، وأيُّ شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً».

التطبيق

كلَّما عزمتَ على كتابة تقرير، أو اقتراح مشروع، أو شرعتَ في محاضرة، أو بدأت العمل مدرِّسًا في قسم، أو تاجرًا في دكان... فابدأ عملك إمَّا بكتابة عبارة:

غايتي: **إرضاء الله تعالى.**

أو بالتلفظ بها، وتذكير المستمعين والمتلقين بهذه الغاية.

مع الحرص على استحضار معناها ومدلولها.

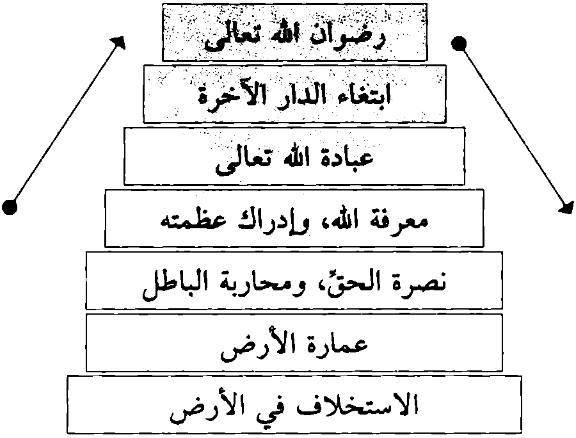
وإذا ما وقع خلاف، أو سوء تفاهم، فارجعوا إلى الغاية، واعرضوا المواقف المختلفة عليها، فما كان منها في رضا الله تعالى فاقبلوه، وما كان في سخطه، فانبذوه.

وبهذا يكون الاختلاف مجرَّد تباين في الرؤى، وليس اختلافًا جوهريًا في الأهداف والغاية.

* * *

هرم الغايات

قد تختلط عليك الأمور وأنت تتعامل مع القرآن الكريم، أو السُنَّة النبوية، أو التراث الإسلامي، فتطالع تعدُّد الغايات، وتعتقـد أنَّ هذا من قبيل التناقض والتضاد، غير أنَّ الصواب هـو كونه اختلاف تنوع، وهي مراحل نحو غاية كبرى، ولذا عمدنا إلى رسم هرم يوضح لك هذا المعنى:



هرم الغايات في البرمجة الزمنية
من خلال الفكر الإسلامي

السهمان في اتجاهين متعاكسين، يدلاًن على أنَّه لا يمكن تحديد أيِّ **الغايات** هي الأولى وأيِّها التابعة:

فالقصد إلى **«رضوان الله تعالى»** يستوجب **«ابتغاء الدار الآخرة»** ويستتبعها في آنٍ واحد.

و**«ابتغاء الدار الآخرة»** يستوجب «عبادة الله تعالى» ويستتبعها.

و**«عبادة الله تعالى»** تستوجب **«معرفة الله تعالى، وإدراك عظمته»** وتستتبعها... الخ.

فعندما يضع أيُّ مسلم برنامجه الزمنيَّ، ينبغي عليه أن يعي هذه **الغايات** التي هي في حقيقتها **غاية** واحدة، ويضعها في أفُقه ليصل إليها؛ لأنَّها هي **غاية الغايات**، وأيُّ **غاية** دونها ستعطي برنامجًا زمنيًّا مضطربًا، ومتناهيًا، وآنيًا، وكمِّيًّا مجرَّدًا.. وهذا ما يعاني منه الفكر الغربيُّ، الذي اتَّسم بضبابية وضعف في **الغايات**، وعانى الأمرَّين من تضاربها وتضادِّها، ذلك أنَّه أبعد من حسابه خالق **الغايات** وواضعها، ولم يعرف لله تعالى قدرًا: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [سورة الزمر، الآية: 67].

هـذا مـن جهـة، ومـن جهة أخـرى كفر بـكلّ حيـاة بعد المـوت: ﴿ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [سـورة الواقعـة، الآية: 47]، ويقولـون: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًاۖ ذَٰلِكَ رَجْعُۢ بَعِيدٌ ﴾ [سورة ق، الآية: 3].

بعكس المسـلم المسـتمدّ مـن الله تعالى منهجـه وغايته، ومن القرآن الكريم روحه وحقيقته، ومن الرسول ﷺ نموذجه وبرنامجـه فإنَّـه لا يعـرف انهزامًـا فـي **الغايـات** ولا تضاربًا، يقول: «مارسيل بوازار» في كتابه «إنسانية الإسلام»: «إنَّ النهج الإسـلاميَّ يرفض الفصل بين مختلف عناصر الحياة الفردية أو الجماعيـة، فهـو يجهل تعددية (**الغايات**)؛ وغاية الإنسـان الوحيدة والنهائية، هي **كفاية** المجتمع سواء بسواء، **أن يكون في خدمة الله، ويمتثل لمشيئته، ويعمل بشريعته**»، ثم استشهد بقولـه تعالـى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة الأنعام، الآيتان: 162، 163].

وهذه الأحادية في **الغايات لا** تلغي بأيِّ حال من الأحوال خصوصية الإنسـان، ولا تنافي حرِّيته، ذلك أنَّ **الأهداف** هي التـي ستسـمح لكلِّ واحـد أن يخطِّط مسـتقبله لوحده، وفق معطياته وقدراته، أمَّا الغاية فتضمن له عدم الانحراف والزيغ.

فقط استعمل عقلك

إنَّ الآلة الوحيدة التي لا تبلى بالاستعمال، بل تزداد قوَّة وحدَّة ومضاء، هي: عقلك. فكلَّما استعملته في الطريق الصحيح، وكلَّما أجهدته في البحث عن الحقيقة... ازداد اتقادًا وازددتَ ذكاءً وحكمةً.

فهل أنت ممَّن يستخدم عقله في البحث عن حقيقة الوجود، وفي تدبُّر الآيات التي في نفسه، وفي السموات والأرض، والحيوانات، والنباتات...؟

أم إنَّك جمَّدتَ عقلك في سفاسف الأمور وحقائرها، وأشغلتَ ذهنك في ما لا يعني من التفاهات والملهيات؟

هل تدبَّرت في عمرك كيف يطوى، وفي الموت كيف يقترب منك وكيف يأخذ أقاربك وأصدقاءك، وفي الأمم كيف تعلو وتتمكَّن، وكيف تزول وتمحَق؟

اعلم أنَّه من الواجب عليك، وأنت إنسان مكلَّف أن تتفكَّر في الغاية من خلقك؛ لأنَّ ذلك له علاقة مباشرة بك

أولاً، وبكلِّ ما تراه حولك في الكون، وكلِّ ما يُعرض لك في حياتك بعد ذلك. «إنَّ الإنسان الذي لا يتفكَّر، لا يدرك الحقائق إلاَّ بعد الموت، حين يقف بين يدي ربه ليلقى حسابه، وحينها يكون الأوان قد فات. والله تعالى يذكر في محكم كتابه أن كل الناس سوف يتفكرون عندما يعاينون الحقيقة في يوم الحساب، قال تعالى: ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴾ [الفجر: 23، 24]».

تفكَّر في غايتك، ولا تكن من الغافلين.

* * *

غاية طالب العلم

سأل طالب علم شيخه وأستاذه الحكيم عن الغاية من طلب العلم، وعن الغاية من الحياة، فجاء جوابه بليغًا، يحسن أن يعرفه كلُّ مشتغل بالعلم في عصرنا هذا، ذلك أنَّ مدارسنا وجامعاتنا اليوم لا تدرِّس هذه المبادئ، فهي منشغلة عنها بقيم أخرى زائفة، وبأفكار منحرفة مستوردة من الغرب من دون تمحيص ولا مراجعة.

والحوار بين الطالب والأستاذ أورده ابن الحاج في كتابه «المدخل» ونصُّه:

«**قال الطلبة**: أوضح لنا المنزلة التي ينالُ العبادُ بها القربَ من ربِّهم، ويَقْوَوْن بها على معرفته، ويبلغون بها رضوانَه، والأمرَ الذي يقرِّبهم إليه، ويقصرُ بهم عنه، إيضاحًا شافيًا، حتى يكون ذلك عندنا بيِّنًا؟».

«فقال: سأوضح لكم ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ فافهم

قولـي بفهـم لا يخالطه سـهو، وتذكـر فيه بتذكـر لا يخالطه غفلة، واصبر عليه صبراً لا يخالطه جزع...

ثـم قـال: الأمـور التي تقـوى بها علـى العمـل والأدب: **الصبـر** الـذي هو تمامـه وقوامـه، فإنك إن صبـرت انتفعت بعلمـك، **وبلغت منـه رضوان الله**، وقوَيْت فيـه على العمل، وليـس منزلـة مـن منـازل الخيـر إلاَّ وللصبر فيـه عمل، وبه تمامـه، فبالصبر قـوي العباد علـى أداء الفرائض، والحلال، والحـرام، وبالصبـر قـووا على اجتنـاب المحـارم، **وبالصبر بلغوا الغاية من كرامة الله تعالى وثوابه...**».

فاسـأل نفسـك أخي الطالب: ما هي غايتـك من الالتحاق بالمدرسـة أو المتقنـة، أو الجامعـة أو المعهـد؟ هـل هـي: الحصول على منصب عمل، والفوز بمكانة اجتماعية، وحظوة عنـد الناس؟ فإن كان الأمر كذلك، فاعلم أنَّك أسـأت اختيار الطريق، وخسرت حياتك مرَّتين، وخسران الآخرة أشدُّ.

أمَّـا إذا كانت غايتك: نوال رضا الله تعالى، ونفي الجهل عنك وعـن أمَّتك، ونصرة الحقِّ، ومحاربـة الباطل... فأنت بـإذن الله موفَّق فـي الدنيا والآخرة، فاثبـت على ذلك، إنَّك على الحقِّ المبين.

وجه الله رضوانُه

إذا قـرأت قولـه تعالى فـي القرآن الكريـم ﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقـرة: 115]، فاعلـم أنَّ الوجـه معنـاه رضـوان الله، وليـس بجارحـة كما قد يتوهَّم الغافل عـن معاني القرآن، والجاهل بأسرار اللغة العربية.

قـال تعالـى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 115]، قال مفسِّـر القرآن العلاَّمة أبو بكر الجصَّاص: «معناه: فثَمَّ رضـوان الله، وهو الوجه الذي أمرتـم بالتوجُّه إليه، كقوله تعالـى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسـان: 9] يعنـي لرضوانـه ولمـا أراده منَّـا، وقولـه: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: 88] يعني: ما كان لرضاه وإرادته».

وهذا المعنى يتناسق مع تعريفنا للغاية بأنها: **وجهة الحياة ومعناها**.

﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾

يضرب الله تعالى مثلاً بمن له غاية وبمن لا غاية له، فيصوِّر الحالتين ببنيان مرتفع، أحدهما يرتكز على قواعد متينة، والآخر هشٌّ يكاد يقع من شدَّة ضعفه، وهو مبني على حافَّة جارفة، فيقول: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [التوبة: 109]. يعلِّق العالم المفكّر هارون يحيي في كتابه «الحياة في سبيل الله» على هذه الآية بقوله: «وكما تخبرنا الآية السابقة، فإنَّ حياة هؤلاء الذين يفتقرون إلى الإيمان قائمة على ﴿شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: 109]؛ لأنَّ الهدف الأوَّل الذي يعيشون من أجله هو تحقيق السعادة والأمن في ﴿هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [العنكبوت: 64]. ومن هذا المنطلق فإنَّ الغاية الأسمى التي تحكم حياتهم هي: كيف يصبحون أغنياء. إنَّهم يبذلون كلَّ ما بوسعهم من محاولات جسدية وعقلية في

سبيل تحقيق هـذه الغايـة. هذا بالنسـبة للبعض، أمَّـا البعض الآخر، فإنَّ الشـهرة والسـمعة هي الغاية من وراء الحياة الدنيا التي يحيونها، وهؤلاء مستعدُّون للتضحية بأيِّ شيء من أجل الحصـول على تأييد الـرأي العام. إلاَّ أنَّ كلَّ هذه المكاسـب الدنيوية، لن تلبث أن تزول حالما يهال التراب فوق رؤوسهم، ويصبحون وحيدين في قبورهم. أمَّا المؤمن فهو إنسان يعرف الله الـذي خلقـه، يؤمن بوجوده وعظمتـه؛ يعرف لماذا أوجده خالقـه في هذه الحيـاة، وماذا يريد منه، لذلك تكون غايته في هذه الحياة العمل على كسب رضوان الله وتحقيق عبوديته. إنه يحاول توظيف كافة السـبل والوسـائل في سبيل تحقيق غايته هذه، فهو يدرك حقيقة الحياة كما يدرك حقيقة الموت».

«... إنَّ مفتاح النظام الذي خلقه الله هو رضوان الله، ذلك لأنَّ الله يهدي الذين ينشدون مرضاته: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائـدة: 16]. يكون المسـلم مسـلمًا عندما يتَّبع رضوان الله، وهذه هي أكثر الصفـات التي تميزه عن غيره مـن الخلائق، وهو يعتبر الدين وسيلة لتحقيق عبوديته لله».

رضوان الله تعالى يخفّف من أتعاب الحياة

ليست حياة الإنسان كلُّها ورد ورياحين، ولا يعني ابتغاؤك لرضوان الله تعالى أنَّك ستكون في منأى عن المصائب والمصاعب، ولكن تيقن أنَّ من كانت غايته هي رضا الله تعالى فإنَّه سيعيش مطمئنَّ البال، مرتاح الضمير، لا خوفٌ عليه ولا حَزَن، وسيكون كلُّ ما أصابه مجرَّد ألم زائل وأذى حائل، مهما بلغ الابتلاء مداه، ولقد وصف الله تعالى هؤلاء ـ وكلُّ رجائنا أن تكون منهم ـ فقال: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ۝ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: 173].

ولذا لم يستثنَ رسول الله ﷺ من الوجع والألم، وهو أحبُّ خلق الله إلى الله، ولو شاء ﷻ لما أصابه بأذى، ولكنَّ حكمة الله اقتضت أن يكون «بشرًا رسولاً» بكلِّ معاني هذه

العبارة، ولو لم يكن كذلك لما أمكن أن يُتَّخذ قدوة وأسوة.

وفي الحديث عن عبدالله بن مسعود قال: «دخلتُ على رسول الله ﷺ وهو يوعَكُ، فقلتُ: يا رسول الله، إنَّك لتوعَكَ وعكًا شديداً! قال: **أجل، إنِّي أوعك كما يوعك رجلان منكم**. قلت: ذلك أنَّ لك أجرين؟ قال: **أجل، ذلك كذلك. ما من مسلم يصيبه أذًى، شوكةٌ فما فوقها، إلاَّ كفَّر الله بها سيئاته، كما تحطُّ الشجرةُ ورقها**» وفي حديث آخر: «**وليس ذلك إلاَّ للمؤمن**».

فابتغاؤك رضوان الله تعالى يحيل المصائب والأوصاب إلى أجر وحسنات، أمَّا فراغك من الإيمان فيحوِّلها جحيمًا مقيمًا، وقلقًا دائمًا.

* * *

لا شيء خُلق عبثاً

من الواضح بالنسبة لكلٍّ إنسان يمتلك الحكمة والإدراك أنَّه لم تخلق في هذا الكون أي مادة، أو حادث، أو قانون عبثًا أو من دون هدف وغاية. تقوم بنية الكون واستمراريته على توازن جد دقيق. هذا التوازن حقيقة غير قابلة للنقاش تثبت أن الكون «مخلوق». فهل يمكن بعد ذلك أن يقال إن الكون خلق عبثًا؟ بالطبع لا.

هناك هدف وغايةٌ حتى في أصغر عمل يقوم به كائن موجود على وجه البسيطة، هذا الكائن الذي لا يشغل مكانًا بالنسبة لبلايين المجرات الكونية أكثر مما تشغله حبة رمل.

إذًا كيف يُعقل القول بأن الكون برمته خلق عبثًا؟

أخبر الله تعالى البشر أنه لم يخلقهم عبثًا: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: 115].

وكل هذا يعني أنَّ جميع المخلوقات لها غاية واضحة، وجميع المخلوقات تقرُّ لخالقها بالعبودية، ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا

﴿يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44]، إلاَّ الجاحد المنكـر، فإنَّه ينكر هذه البديهة، ويخالف سـنن الكون، فيتخذ لحياتـه غاية أخرى ويتنكَّـر للغاية الحقَّة... ولهذا كان جزاؤه: معيشة ضنكًا.

فهـل تريـد أيُّها الشـاب المسـلم أن تكون فـي تناغم مع الكون، أم تريد أن تلزَّ في قرَن مع الكافر...

اختر لنفسـك الطريق الصحيح، ولا تتوان لحظة واحدة؛ فإنَّ هذا هو أعظم قرار تتَّخذه في حياتك على الإطلاق.

أعلنها بصراحة ويقين:

غايتي هي إرضاء الله تعالى.

* * *

الغاية وصوت الضمير

لدى كلِّ إنسان في داخله ثلاثة أصوات:

* صوت الضمير.
* وصوت النفس.
* وصوت الشيطان.

إنَّ الضمير، حتى ولو كان صاحبه كافرًا أو مشركًا، لا يتردَّد في قول الحقِّ، فهو يحدَّثك بالخير فورًا، وأقوى ما يكون حين الخوف، أو الإحساس باقتراب الأجل، فإنَّه في هذه الحال يحملك على الإيمان، ويذكرك بالرحمن.

وهذا ما نقرأه في قوله تعالى، وهو يصف أولئك الذين استيقظ ضميرهم في لحظة الخطر، فلمَّا أحسُّوا بالأمن انقلبوا على أعقابهم، قال جل من قائل:

﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ﴾ [يونس: 22].

أمَّا صوت النفس فعمله هو التبرير والتضليل، ثم يأتي صوت الشيطان ليسند داعي الشرِّ، داخلك، ويبعدك عن رضوان الله تعالى، بمختلف الحيل والإغراءات الدنيئة والخسيسة.

فلا تتجاهل صوت ضميرك، ودرِّب نفسك على الخضوع لله تعالى، تسعد في الدنيا والآخرة.

ومن الحكم التي تركها وهب بن منبِّه، ونقلها ابن أبي شيبة في مصنَّفه، قوله: «من اتباع الهوى الرغبة في الدنيا، ومن الرغبة في الدنيا حب المال والشرف، ومن حب المال والشرف استحلال المحارم، ومن استحلال المحارم يغضب الله، **وغضب الله الداءُ الذي لا دواء له إلاَّ رضوانَ الله، ورضوان الله دواء لا يضرُّ معه داء**. ومن يريد أن يرضي ربَّه يسخط نفسه، ومن لا يسخط نفسه لا يرضي ربَّه، إن كان كلَّما ثقل على المرء شيء من دينه تركه أوشك ألا يبقى معه شيء».

* * *

قصَّة
عندما تصبح الحياة بلا معنى

نتيجـة لضعف الغايات، فإنَّ الـذي يصوغ أهدافاً لحياته، ثـم يعمل جاهـداً لتحقيقها، دائماً ينتهي بقوله: «هل هذا كلُّ ما هنالك؟». وفي هذا السياق أورد «روجر ميريل» قصَّة تعبِّر عن هذا الأمر، قال:

«فـي واحد من برامج التدريب الخاصَّـة بالقيادة، جاءني أحد الأشخاص سائلاً إن كان يمكن أن يفضي إليَّ بأمر ما. ذهبنـا إلى مكان جميل، وبدأنا الحديث، وعندما نظرتُ إلى هذا الشخص كان من الصعب تصوُّر نوع المشكلة التي يودُّ طرحهـا. لقد كان حسـن المظهر، في الخمسـين من عمره، ويعمـل نائبًـا لرئيس إحـدى الشـركات العالمية، وله أسـرة سـعيدة. لقـد كان مـن الذيـن سـاهموا فـي ذلـك البرنامج التدريبيِّ بفاعليَّة.

بدأ بالقول: «لقد شـعرتُ بعدم الرضـا مع كلِّ يوم نتقدَّم فيه في البرنامج، لقد بدأت مشكلتي مع أحد التطبيقات في

اليـوم الأوَّل». ثـم بـأ يحكـي جـزءاً مـن حياتـه الشـخصية الماضية. لقد نشأ في مدينة صغيرة في الوسط الغربيِّ، وكان رياضيًـا وطالبًـا ناجحًـا، وبعدها ذهب إلـى الجامعة، حيث كان نشـيطًا، وانضـمَّ إلـى العديد من النـوادي والجمعيات، بعدها جاءته الوظيفة الكبيرة، والزوجة، والولد، والسفر إلى الخارج، والترقيات، والمنزل الجديد، وطفل آخر، ثم ترقية إلـى نائـب الرئيس. كلُّ هذا وأنا أصغـي حتى أعرف ما هي المشكلة؟ أو بمعنى آخر الكارثة التي حطَّمته، وقلبت العالم من حوله.

أخيـرًا، قـال: «المشـكلة هـي أنَّ حياتـي مليئـة بالأشـياء الجميلـة (...) ولكن عندمـا طلبتَ إلينا أن نفكّر بعمق لكي نحـدِّد ما هي الأشـياء المهمة فـي الحياة أخذتني الدهشـة، فعندما كنت في مقتبل الحياة كانت هناك قضية، وهدف (أي غايـة)، ومعنـى لهـذا العالم (...) خـلال السـنوات الأخيرة اختفـى من حياتـي ذلك المعنى، أو الهدف، أو القضية، لقد خدَّرني الشعور بالأمن (...)»».

هذه الواقعـة نموذج حيٌّ لعلاقة الإنسـان الغربيِّ بالحياة وبما وراء الحياة من معانٍ.

وهكـذا دخل الإنسـان الغربـيُّ عتبة الألفيـة الثالثة، وكلُّ القضايـا الغيبيـة لم تجد حلاًّ عنده، فمُنـي بخيبة أمل كبيرة، وهـو يعيش مُكرَهًـا «الألـمَ، والمعاناة، والمـوت، وبخاصَّة ضيـاع وجهة الحيـاة(...) وعليه أن يعمل فـي القرن المقبل علـى تأسـيس قيـم جديـدة، فما عليـه إلاَّ أن يختـار وجهته بنفسه».

* * *

ماذا بعد؟
اعتراف بفقدان الغاية

إقـرَأ هـذا الاعتـرافَ مـن رجل أعمـالٍ ناجح فـي حياته الوظيفية، إقرأه بتُؤدة وتأمُّل:

«إنَّ حياتي مرهَقة، فأنا أركض طوال النهار، سـواء في الاجتماعـات، أو الردِّ علـى الهاتف، أو إنهاء المعاملات أو المقابـلات... وأنا أجهد نفسـي حتـى النهاية، وأصل إلى سـريري منهَـكًا، ثمَّ أصحـو في اليوم التالـي، لأكرِّر الشـيء نفسـه. إنَّ ما أنجـزه هائـلٌ، ولكنِّي أسـأل نفسـي أحيانًـا: **ماذا بعد؟** ما هو الشـيء الـذي أقوم به وله أهمية ومعنـى؟ ويجـب علـيَّ أن أعتـرف: **إنَّنـي لا أعـرف الجواب؟**».

كـم من النـاس، حتى الناجحيـن منهم، يعانـون من هذا الإشـكال: فقدان المغـزى مما يفعلون، وضيـاع المعنى من الحياة، والروتين القاتل في برنامجهم الزمني!

هـل أنـت كذلك؟ حـاول أن تضع نسـبة مئوية بحسـب تقديـرك، مقارنة بهذا النص، فهل ما جاء فيه يمثل 10، 30، 60، 90.... فـي المئـة مـن حقيقـة حياتـك الوظيفية؟ ضع الرقم المناسب بصراحة في هذا الخانة:

النسبة المئوية مقارنة بحياتي هي:....... في المئة

* * *

الغاية المزيفة

يحـرص الكتَّاب الغربيون فـي «إدارة الوقت» على التأصيل للغايـات، متخذيـن الأزمـة الروحيـة للإنسـان الغربـي منطلقـاً لتحليلهم، فيعترفون بأنَّ «الشـعور بالمعنـى والهدف في الحياة (أي الغايـة) هـو الذي يعطـي المضمون، والمعنـى لباقي أبعاد تلـك الحيـاة»، و«إنَّ مفتـاح الاشـتعال الداخلـيِّ فـي حاجاتنـا الروحية لأن نترك وراءنا الأثر والذكرى الطيبة، والنموذج الذي يحتذى. هذه الحاجة تحيل كلَّ الحاجات الأخرى إلى طاقات تضاف إلى حياتنا: الطعام، والصحة، والمال، والتعليم...».

ولكن، للأسـف يقررون أنَّ هـذه الغايات الروحية تتمثل في: ترك الأثر الطيب والذكرى الحسنة، والتوازن الشخصي في الحياة، ونفع الآخرين...

ويتوقّف تفكيرهم عند الغاية الحقيقية، وهي: **إرضاء الله تعالى.**

وأنت، أيها المسـلم، قد وفِّقت إلى هـذه الغاية الكبرى، فاحـرص على ألا تضيعها، واعمل علـى إنزالها إلى حياتك اليومية، لتتحوَّل إلى عمل صالح، وفعل مثمر.

القطب اطفيش
يحدد غايته

عاش قطب الأئمة الشيخ إمحمد بن يوسف إطفيش حياته المباركة، بين التأليف والتعليم، وترك أكثر من ثلاثمائة عنوان في مختلف فنون العلم: العقيد، والفقه، واللغة، والمنطق، والتاريخ، والفلك، والطب... فكان بحقٍّ موسوعة عالمية، وظاهرة نادرة، وما ذلك إلاَّ لقوَّة **غايته** ووضوحها، ولقد عرضها في بيتين شعريين جاء فيهما:

ولولا ثلاث هنَّ: تعليم جاهل
وإرضاء ربِّي، والجهاد لذي الكفر
لما كنتُ أخشى الموت، والموت لازم
وإلاَّ فما الحياة والمرء في قهر

فغايته تتلخَّص في ثلاث نقاط هي:

- إرضاء الله تعالى.
- وتعلُّم العلم وتعليمه.
- وجهاد الكفار.

ويتأسف في بعض كتاباته أنَّه حقَّق الثانية، ويدعو الله أن يكون قد حقَّق الثانية، ولكنَّه لم يحقِّق الثالثة، فلم تسمح له الظروف بالجهاد، ومحاربة الاستعمار والمشركين والكفار بالسيف، رغم أنَّه حاربهم بالقلم، وبالمواقف الجريئة.

فهل نحن مستعدُّون لنربِّي نُسخًا للقطب، في عصر نحن أحوج ما نكون فيه إلى مجتهدين من أمثاله؟

فلنعلِّم أبناءنا تحديد الغاية، وعلو الهمَّة.

* * *

برنارد شو
يحدد غايته من الحياة

في كتاب (السعادة) للفيلسوف الساخر جورج برنارد شو «George Bernard Shaw» نقرأ نصًا يحدد فيه المؤلف غايته في الحياة، فيقول: «هذه هي السعادة الحقيقية في الحياة... أن تقضي حياتك من أجل هدف تعتقد أنَّه هدف مقدَّس... أن تكون قوَّة من قوى الحياة، بدلاً من أن تكون مجرَّد شيء صغير، أنانياً معزولاً، مليئاً بالشكوى والأحزان، يندب حظَّه أنَّ هذا العالم لم يكرِّس نفسه لجعله سعيدًا... أنا شخصيًّا، أرى أنَّ حياتي ملكٌ لكلِّ المجتمع، ولذلك عليَّ أن أقدِّم لهذا المجتمع كلَّ ما أستطيعه، ما حييتُ. إنَّني أريد أن أقدِّم كلَّ ما يمكنني، حتى آخر نفَس، عندما يحين وقت وفاتي. فكلَّما شقيتُ في العمل كلَّما عشتُ أكثر. فأنا أستمتع بالحياة لذاتها، فالحياة ليست شمعة صغيرة، ولكنَّها مصباح كهربائيٌّ رائع، أمسك به ليضيء بأقصى طاقته، إلى أن يحين الوقت لتسليمه إلى الأجيال القادمة».

فالفيلسوف بيرنارد استثنى من غايته «الله تعالى»، فألَّه «المجتمع»، و«الشهرة»، و«العمل»، و«الحياة». ولكنه استطاع أن يملأ الحياة نشاطًا وتفاؤلاً ودافعية، فما بال بعض المسلمين رزقوا الإيمان، ووُهِبوا غاية عظيمة، نجدهم أقلَّ حيوية، وأقلَّ تفاؤلاً، وأبعد عن العمل والإنتاج والإبداع... لا شكَّ أنَّ في غايتهم خللاً، وفي إيمانهم نقصاً.

* * *

هارون يحيى
والغاية الكبرى

إيـاك أن تعتقـد بأنَّ عصر الناجحين قـد ولَّى، وأنَّ الذين وُهبـوا الغايـة الكبرى قد انتهوا، وأنَّ عصـرك هذا هو عصر الفسـاد، وأنَّ الخير قد انقرض من فوق الأرض... ففي كلِّ زمان أناس خيرون، وفي كلِّ زمان أناس شرِّيرون، فاحرص أن تكون خيِّرًا بغض النظر عن عصرك ومصرك.

ومما يروى في هذا أنَّ رجلاً قال للعلاَّمة الشيخ بيوض: ليتني عشتُ في عهد الرسول ﷺ!

فغضب الشيخ بيوض، وقال: ويحك ومن يدريك أنَّك لو عشتُ في زمان الرسول لكنتَ أبا جهل؟ فقط، ارضَ بقضاء الله، وكن صالحًا في زمانك.

فيسُّـرنا أن نـورد أنموذجًـا لرجـل تـرك آثـاراً طيبة، وهو لا يزال في مقتبل العمر، إنه: المفكر العالمي **هارون يحيـى**.

هـذا الرجـل مـن مواليد سـنة 1956م، شـرع فـي كتاباته الداحضـة لنظرية داروين، وهو في الثلاثينات من عمره، ثم

انتشـرت عبـر العالـم، وتُرجمـت إلـى الكثير مـن اللغات، ولاقت إقبالاً كبيراً في الأوساط العلمية، ولا تزال.

ومن تمام حكمته ونشاطه أنَّه نشرها في وسائل الإعلام: التلفزيون، والأقراص المدمجة، والإنترنت... الخ.

وعناوينه في الأنترنت هي:

www.harunyahia.com

www.harunyahia.net

وبريده الإلكتروني إذا أردتَ أن تراسله، هو:

info@harunyahya.net

ومـن المفيـد أن تعرف أنَّه بلغ كلَّ هذا المسـتوى لأجل غايته المحدَّدة والواضحة وهي:

«نسف الأسس الإلحادية والشـركية، وإبطال كلِّ المزاعم التي تقـوم عليهـا الحـركات المعاديـة للديـن، لتكون لـه كلمـة الحقِّ الأخيـرة، ويعتبـر خاتـم النبـي ﷺ، الـذي جعله شـعاره فـي كلِّ أعماله، بمثابة الإعلان عن الغاية الكبرى التي يصبو إلى تحقيقها».

«نقل الرسالة القرآنية إلى الناس، وتشجيعهم على الإيمان بالله، والتفكر بالموضوعات الإيمانية، والوجود الإلهي، واليوم الآخر».

«خدمة أولئك الذين يبحثون عن الطريق الصحيح للوصول إلى الله، وليس تحقيق السمعة أو الشهرة، أو مآرب مادية».

«هزيمة الكفر، وتكريس القيم الإنسانية».

* * *

الله والإنسان وجهًا لوجه

تحت هذا العنوان المثير يكتب العالم المتخصص في علم اجتماع الزمن: روجير سيو «Roger Sue»: «تحول الإنسان الغربي إلى مواجهة حقيقية بينه وبين الله، وبهذا أصبح أكثر مسؤولية عن زمنه وعن أفعاله... وقد كان قبل ذلك يحمِّل الإله كلَّ ذلك».

بهذا المنطق لا ينتظر من الفكر الغربي أن يضع في غاياته رضا الله تعالى، ما دام لا يعترف به.

* * *

رواد للفضاء ولكن بلا غاية

لا تعتقد بأنَّ العلم في مقدوره أن يفسِّر غاية الوجود، ذلك أنَّ مجاله محدود في الظواهر الكونية، قال الفيلسوف «أندريه ليشنزوير» في هذا المعنى: «إنَّ الخطاب العلميَّ، لا يستطيع أن يخرج من ذاته من دون أن يفقد خصوصيته، وتكمن مهمَّته في تفسير تركيبة الأشياء والظواهر؛ فهو يحلِّلها ويشرِّحها تشريحًا، ويكشف عن قوانينها وبنيتها الداخلية، ولكن ليس عنده كلُّ شيء يقوله عن غائية الأشياء، أو معنى الوجود، أو الهدف من الحياة في نهاية المطاف، فهذه هي مهمَّة الدين أو الفلسفة بشكل عام. العلم يستطيع أن يفسِّر الأشياء، ولكنه لا يستطيع أن يقول: لماذا وُجدت الأشياء، أو ما هي الغاية من الكون».

ولعلَّ هذا ما يفسِّر أنَّ رواد الفضاء الأوائل، عندما حدَّدوا غايتهم في الوصول إلى القمر، وعملوا بكد في سبيل تحقيقها، ولكنهم يوم رجعوا إلى الأرض وقد وفِّقوا في

تحقيقها، انتهى معنى الحياة بالنسبة إليهم، وكان السؤال: ماذا بعد القمر؟ وما فائدة الحياة بلا غاية أكبر نعمل من أجلها.

فوقعوا في قلق شديد، وأمراض نفسية مستعصية، مما استلزم فرقًا من الأخصَّائيين النفسيين لمحاولة تخفيف اكتئابهم، ولكن لم يفلحوا.

وهذه هي ضريبة انحراف الغاية أو فقدانها. وصدق الله العظيم في وصفه البليغ لعلماء الكفار، الذين قد يبهروننا بعلومهم ولكنهم في فراغ روحي مهيب، فقال جل من قائل: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم: 7]، وقال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: 124]. فهؤلاء علموا وجحدوا، ظلمًا وعلوًّا.

* * *

مرض المشاهير
فقدان الغاية

هل تريد أن تكون مثل المشاهير في كرة القدم، و«الفن»؟ إذا حدث لك يومًا أنَّك فكَّرتَ في ذلك، فاعلم أنَّ حياتهم تبدأ بغاية واحدة هي: بلوغ قمَّة الهرم، والحصول على الشهرة والمكانة الإعلامية، وتحقيق أكبر قدر ممكن من المال والملذَّات الدنيوية.

ثم، بعد بلوغ ما سطروه، تبدأ حياتهم في الخفوت، مثل شمعة صغيرة وسط الأعاصير، ويفقدون معنى الحياة، بفقدانهم للغاية التي حدَّدوها أوَّل يوم، والكثير منهم يتحوَّل إلى عربيد، وسكير، ومدمن على المخدِّرات، وقد تلاحقه المحاكم لتفاهات صبيانية يقترفها...

وإن شئت فاقرأ عن: مايكل جاكسون في الغناء، وعن مايك تاوسون في الملاكمة، وعن دييغو مارادونا في كرة القدم... وغيرهم من الذين أصيبوا بمرض فقدان الغاية، أو ما نسميه بمرض المشاهير، كثير.

أمَّا أنت أيها الشاب المسلم، فاحذر من اتباع هؤلاء، فلقد كرَّمك الله تعالى، وجعلك مثالاً للخير والسكينة والطمأنينة في الدنيا، والفوز بالجنة وبرضوان الله يوم القيامة.

* * *

عندما تتحول كرة القدم إلى غاية

هل أنتَ من محبِّي كرة القدم؟

إذا كنتَ كذلك، فإلى أيِّ حدٍّ؟

وهـل، مثلاً، مـن عادتك أنَّك تؤخِّر الصـلاة، أو تتخلف عن الجماعة، أو عن اجتماع وموعد مهم، لأجل مقابلة في كرة القدم؟

إذا كنتَ كذلك، فاعلم أنَّك صرتَ ـ علمتَ أو لم تعلم ـ من أتباع ديانة جديدة: **تسمَّى كرة القدم**، وفقدتَ غايتك من الحياة.

في مقال رفيع المستوى، بجريدة «العالم الديبلوماسي» عنوانـه: «كـرة القـدم، رياضـة لائكيـة فـي البحث عـن إله جديـد»، يقـول الكاتـب: «تسـتولي رياضة كـرة القدم على المسـاحة الشـاغرة التي تخلَّت عنها السياسـات والديانات الكبرى»، و«قد أبدع الجمهور وسيلة للاتصال في الملاعب،

أكثر جاذبيـة وإثـارة، مـن تلك التـي تسـتخدمها الديانات والأحزاب السياسية».

ويعتقـد بعـض الدارسـين أنَّ عـدداً من المشـاهير، مثل: مارادونـا، ورونالدو، وزيـدان، وبيكام... هـم الآلهة الجدد لكرة القدم، والمشـاهِد الذي يضحِّـي بماله وراحته، ويضع كلَّ طاقته وعواطفه في تشـجيعهم، هـو بمثابة العابد، الذي يبتغـي رضا معبوده، فيسـتعدُّ لكلِّ أنـواع التضحية، حتى لو كلَّفـه ذلك إنفاق المـال، أو إحداث التخريب والفسـاد، أو البكاء وأذية الجسـم، وقد يصل به الحال إلى الانتحار، في الحالات القصوى.

ومـن اجتهد في حبِّ كرة القدم إلى حدِّ الجنون، وضيَّع علاقاتـه الروحية مع الله تعالـى، بتركه للصلاة، أو تأخيرها، أو أدائها من دون خشوع... فقد خسر غايته من الحياة (**رضا الله تعالى**)، وبات في عيشـه بـلا وجهة ولا معنى، وهذا هو الخسران المبين، والضلال البعيد.

وقُلْ مثل ذلك عن الشهوات، والملذات، واللهو والغناء، والمتـع الآنيـة الأخـرى... ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾ [الجاثية: 23].

التطبيق

أنت الآن أمام جهاز التلفاز، تشاهد مباراة في كرة القدم، في تصفيات عالمية، يشارك فيها أحبُّ فريق لديك، وكلُّ المؤشرات تقول: إنَّ المباراة ستنتهي بعد ربع ساعة، بفوز فريقك، مع الخوف من تعديل النتيجة، من قِبل الفريق الخصم...

فجأة، يؤذِّن المؤذِّن لصلاة المغرب!!

أجب في هذه الخانة، عن سؤال: ماذا سأفعل؟ وكن صريحًا مع ذاتك:

الغاية والتضحية

قد يجد المرء غرابة في الشهيد، الذي يهب حياته في سبيل غاية يؤمن بها، بينما الناس يحرصون على الحياة، ولو على حساب غايتهم، وممَّا يفسِّر هذا الموقف البطولي، وجود غاية كبرى هي: رضوان الله تعالى، وحياة أخرى: هي الدار الآخرة. يقول المفكِّر عبدالكريم بكَّار في كتابه الرائع (عصرنا والعيش في زمانه الصعب)؛ «ميزة الغاية الكبرى للحياة هي: أنَّ الأهداف الأخرى جميعها، تصبح وسائل بالنسبة إليه، مما يوجد ارتباطاً فريدًا بين مجموعة الأهداف المختلفة. سيطرة هذه الغاية على حسِّ الناس ومشاعرهم، وتصرفاتهم، وحساباتهم، كان باستمرار يشكّل مخرجًا حيث لا مخرج، وحلاًّ حيث لا حلَّ؛ فهدف على هذا المستوى يضحَّى بالحياة كلِّها من أجله، وهذا ما يفعله في الحقيقة الشهيد والملتزم التزامًا صارمًا. الشهيد والملتزم، هما أعظم الناس نفعًا

للبشرية؛ لأنَّهما يعطيان للحياة، ولا يسحبان من رصيدها، وإنَّما يسحبان من رصيد آخر، هو رصيد الآخرة، مما يخفِّف من كثير من الأزمات».

* * *

الصلاة أول الوقت...

لو أنَّك سألتَ رسول الرحمة محمَّداً ﷺ، عن مظهر من مظاهر ابتغاء رضوان الله، لكان جوابه، كما في الحديث النبوي الذي رواه ابن عبَّاس رضي الله عنه:

«الوقتُ الأوَّل من الصلاة رضوان الله، والوقت الآخِر عفوُ الله».

وقد علَّق الإمام الشافعي على هذا الحديث بقوله: «ورضوان الله إنَّما يكون للمحسنين، والعفو يشبه أن يكون للمقصِّرين».

فإذا كنتَ ممَّن يحرص على الصلاة في أوَّل الوقت، فاستبشر خيرًا، واعلم أنَّك قد أوتيتَ من الخير الكثير...

* * *

الكلمة الطيبة

الكلمـة الطيِّبـة: ممَّا يسـتوجب رضـا الله تعالى، ويضمن لك بلـوغ الغاية الكبرى بأمان، فاحرص على أدائها، وابتعد عن الكلمة الخبيثة، وفي هذا المعنى يروي لنا العلماء حديثاً عن رسول الله ﷺ، قال فيه:

«إنَّ أحدكـم ليَتكلَّـم بالكلمـة من رضـوان الله ما يظنُّ أن تبلغ ما بلغت، فيكتُب الله ﷻ له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإنَّ أحدكم ليَتكلَّم بالكلمة من سـخط الله، ما يظنُّ أن تبلُغ ما بلغت، فيكتُّب الله ﷻ عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه».

وأنـت، أيها القارئ، أحمـد الله أن وهبك عقلاً يميِّز بين الخيـر والشـرِّ، وبين الطيب والخبيث، فاختر أيَّهما يسـعدك في الدنيا، وينجِّيك يوم القيامة.

* * *

ابسط يديك يملأها الله من رضوانه!

ليس القرآن الكيم نصًّا أدبيًّا كباقي النصوص، بل هو كلام الله تعالى، والمستمسك به ينال الجزاء الحسَنَ في الدنيا، والأجر الكبير في الآخرة، وفي هذا يصف لنا عبدالله بن عمر ﷺ مشهدًا مثيرًا، ستجرى أحداثه يوم القيامة، وكأنَّنا نراه رأي العين، يقول:

«يَجيء القرآن يشفعُ لصاحبه، يقول: يا رَبِّ، لكلِّ عَامِلٍ عُمَالَةٌ مِنْ عَمَلِهِ، وإنِّي كنتُ أمْنَعُهُ اللَّذَّةَ، وَالنَّوْمَ، فَأَكْرِمْهُ. فَيُقَالُ: ابسُط يمينَك **فتُملأ من رضوان الله**، ثمَّ يقال: ابسُط شمالك **فتُملأ من رضوانِ الله**، ويُكسَى كِسْوَةَ الكرَامَةِ، ويحلَّى بِحليةِ الكرَامةِ، ويُلبَس تاجَ الكَرَامَةِ».

ولكلٍّ واحد منَّا أن يتخيَّل يديه وهما تُملآن من رضوان الله تعالى، وليتخيَّل نفسه وهو واقف كالعريس تكسوه الملائكة كسوة الكرامة، وكالأمير تضع فوق رأسه تاج الكرامة... وما علينا اليوم، إلاَّ أن نعمل وفق الغاية الكبرى: **رضوان الله تعالى**.

الفهرس